# المتنبي ومشكلة السّرقات الشّعرية

## (دراسة في نقد المؤلفات التي تناولت سرقات المتنبي)

**د. أحمد علي محمد**

**المقدمة**

**(١)**

**١-١:** لم يمض المتنبي في التعبير عن ذاته شعريًا على سُنن مَنْ سلف من أصحاب البيان وأرباب القصيد، إذ هو لم يتحلَ أصلاً بأدبياتهم ويتبعْ أساليبهم في التواضع، بل كان يرى في نفسه من الكبر والعلو ما يجعله يتسامى على كثير من الناس بمن فيهم الملوك الوزراء والسادة في عصره، وقد روت كتب الأدب أخبارًا كثيرة تدل على أنه انفرد من بين صُنّاع الأدب بالمغالاة الشديدة، والتطرف الحاد، والتعالي الذي لا يتناهى، معتزًا بنفسه، ومعتزًا بأقواله، وقد قَبل جمهورٌ من الناس ذلك منه، معترفين له بالتفرد، غاضين الطرف عمّا كان يصدر عنه من سلوك غير محمود، غير أنَّ طائفة أخرى لم ترَ في أدبه ما يسوّغ له ذلك التطاول أو تلك المغالاة، وليس ذلك فحسب، بل إنَّ كثيرًا منهم لم يجد فيما تركه من شعر سوى صورة معادة مكرورة، لا تستوجب كلّ ذلك الرنين الذي كان يحوط شخصه وشعره في آن. من هنا انقسم الناس إزاء شخصية المتنبي وشعره قسمين: الأول يؤيد مذهبه في الشعر ويُعجب بشخصه ينافح عنه، ويرفع من مكانته، ويعدّه أبًا للشعر العربي بما أتى به من المعاني الدقاق والفِكَر الفريدة، والآخر يستنكر ما جاء به ويستثقل ما كان يدعيه، فأحصيت من قِبل نفر منهم أخطاؤه، وكُشف عَوارهُ، وأُبرزت

سقطاتُهُ، وقيدتْ هفواتُه، وتُتبعت سرقاته، ونُقدتْ معانيه، ولغتُه وأسلوبُه وصورُهُ، وعِيب عليه بعض فواتح أشعاره ومقاطعها، ولم يُترَكْ له شيء يدعوه إلى التفاخر والتعالي والتفرد، وبذلك جُرِّد عندهم من كلِّ فضيلة.

وعلى هذا النحو بدت شخصية أبي الطيب بين طرفي نقيض، فهو إلى يوم الناس هذا إما أبرز شعراء العربية، وإما مريض مدَّع ليس في شعره ما يوازي ما استوطن ذاته من الغلو والتعالي. وفي هذا البحث أردنا تسليط الضوء على ناحية محددة تتمثل بالوقوف عند ظاهرة السرقات في شعره، بعدما أحصينا عددًا من المؤلفات النقدية التي وجدت في هذا الباب طعنًا على المتنبي وتهوينًا من شأنه، وقد آثرنا طرح تساؤل فحواه: لماذا كان موضوع السرقات بالذات مثار اهتمام خصوم المتنبي؟ وكان من المناسب أن نُمعن النظر ونحن نلتمس إجابة عن هذا السؤال، في الدوافع التي كمنت وراء تأليف أهم الكتب النقدية في سرقات المتنبي كرسالة الصاحب بن عباد (ت نحو ٣٨٥هـ) في «الكشف عن مساوئ المتنبي»، و«الرسالة الموضحة في سرقات المتنبي» للحاتمي (ت نحو ٣٨٨هـ)، و«كتاب المنصف للسارق والمسروق منه في إظهار سرقات المتنبي» لابن وكيع (ت٣٩٣هـ)، و«الإبانة عن سرقات المتنبي» للعميدي (ت٤٣٣هـ)، ثم النظر ثانية في إجراءات النقد التطبيقي في هذه المؤلفات، ومدى مطابقته للمنهج الذي رسمه أصحابه، وبعد ذلك ملاحظة مدى تقيُّد ذلك النقد بمصطلح السرقات، وفي الختام مقابلة ما انتهى إليه هؤلاء النقاد من آراء حول المتنبي وشعره، بآراء من كانوا من مؤيدي مذهبه أو من كانوا معتدلين على الأقل كالبديعي صاحب «الصبح المنبي عن حيثية المتنبي»، والثعالبي صاحب كتاب «المتنبي ما له وما عليه» وغيرهما، والهدف من كل ذلك هو محاولة تقييد

نتيجة في هذا البحث تدور حول حقيقة ما اتهم به المتنبي في موضوع السرقة؛ هذا من جهة، ومن جهة ثانية إبراز الدوافع التي استحكمت في رسم الجانب السلبي لشخصيته في النقد القديم، في محاولة لإعادة فهمه، أو تفهُّم الأسباب التي جعلت شخصيته إشكالية إلى هذا الحد.

**٢– ١: السرقات**

كان موضوع السرقات من أخطر المسائل التي خاض فيها النقد الأدبي القديم، لما لهذا الموضوع من مزالق والتواءات وملابسات وعوالق يتعذر حصرها وتبيان حدودها، والفصل فيها على نحو يكشف عن جوانب ذلك الموضوع بعيدًا عن التحامل والمواقف الشخصية والأحكام التأثيرية. ولا عجب بعد ذلك أن يكون هذا الميدان مقصورًا على جهابذة العلم وكبار نقدة الكلام، من أجل ذلك قال الجرجاني: «ولستَ تُعَدُّ من جهابذة الكلام ونقاد الشِّعر، حتى تميز بين أصنافه وأقسامه، وتحيط علمًا برتبه ومنازله، فتفصلَ بين السَّرق والغصب، وبين الإغارة والاختلاس، وتعرف الإلمام من الملاحظة، وتفرِّق بين المشترك الذي لا يجوز ادعاء السّرق فيه، والمبتذل الذي ليس واحد أولى به من الآخر، وبين المختص الذي حازه المبتدئ، فملَكه واجتباه السابق فاقتطعه»[١].

وتتبدى خطورة ذلك الموضوع من جراء جعله بابًا للقدح والذم والنيل من الخصوم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن السرقة بحد ذاتها نقيصة تُلغي التفرد والإبداع، لهذا حاول العلماء تقييد جوانبها وحصرها في حدود لم تخفَ عن أهل العلم، إضافة لذلك فقد ميَّزوا بين طرفين للسرقة: أحدهما يكون مذمومًا، والآخر محمودًا، وقد انتبه القدماء في موضوع السرقات إلى مسألة مهمة لخَّصُوها بقولهم: إنَّ «اتِّكال الشاعر على السرقة بلادة وعجز،

وتركه كل معنى سبق إليه جهل»[٢].

وهذا معناه أن تقرِّي معاني المتقدمين وتنخُّلها والإفادة منها والإضافة إليها من صناعة الشاعر، كما أنّ تمييز المعاني وتبيان جيدها من فاسدها وشريفها من مبتذلها، والحكم بالفضل للسابق إليها، والإقرار بالإحسان لمن ولد منها وأضاف إليها من صناعة الناقد. فالمعاني كما يرى نقدةُ الكلام لا تكون في رتبة واحدة، كما أنّ سرقة مخترعها وفريدها لا يوازي أخذ ساقطها ومبتذلها. لأنّ الفريد غير متاح لجميع الشعراء، في حين أنّ المبتذل مطروحٌ في الطريق يتجاذبه القاصي والداني، يقول ابن رشيق: «والسَّرق إنّما يكون في البديع المخترع الذي يختص به الشاعر، لا في المعاني المشتركة التي هي جارية في عاداتهم، ومستعملة في محاوراتهم، مما ترتفع الظنة فيه عن الذي يورده أن يُقال إنه أخذه من غيره»[٣].

لقد حدَّد المتقدمون مفهوم السرقات، وبيَّنوا الجوانب التي تستوجب اعتبار الشاعر سارقًا، وميَّزوا المعاني المعدودة في باب السّرق من المعاني المشتركة الجارية في طباع الناس، وأظهروا الفوارق بين السرقة المذمومة والمحمودة، ومع ذلك فقد بقي باب السرقات عند كثير من القدماء مجالاً للذم وسبيلاً لإذكاء نار الخصومة، ولعل المعركة النقدية التي دارت حول المتنبي وشعره لا تبعد عن هذا الجانب، إذ نجد ابن رشيق وهو يعرض موضوع السرقات في كتابه «العمدة» يهاجم ناقدَين تتبعا سرقات المتنبي، ولم يكن في واقع الحال مدافعًا عنه، غير أنّ موضوع السرقات الذي كان يعالجه استدعى ذكر من تعسف في هذا الموضوع فكان من أقرب الأمثلة لذلك الحاتمي الذي قال فيه: «وقد أتى الحاتمي بألقاب محدثة تدبرتها ليس لها محصول إذا حُققت...»[٤]، وابن وكيع الذي ذكره بقوله:

«وأما ابن وكيع فقد قدّم في صدر كتابه على أبي الطيب مقدمة لا يصح معها لأحد شعر...»[٥].

**٣–١ المتنبي والسرقات**

يبدو لقارئ شعر المتنبي أنَّ ثمة معنى متكررًا لديه يُولِّد عنده الشعور بالتميز وهو المعنى الفريد أو البديع المبتكر الذي اهتدى إليه وعبّر عنه بصورة مختلفة عن سائر الشعراء، ولعلّ قوله في أبي العشائر الحسين بن علي يبين طرفًا من الشعور الذي نشأ في الأصل عن قدرة نادرة في النظم يقول(٦):

شاعرُ المجدِ خِدْنُهُ شاعرُ اللَّفظِ كلانا رَبُّ المعاني الدِّقاق

إن المتنبي في هذا الشاهد يرى أنّ الفعل العبقري الفريد إنما يتجلى في لحظة شعرية في الأساس، لأنّ الشعر عنده هو أداة الإبداع ولسان العبقرية، ولا عجب بعد ذلك أن يجعل صانع الأمجاد وهو الممدوح شاعرًا شبيهًا بشاعر اللفظ يعني نفسه، فكلاهما يبدع ويبتكر وينفرد عما سواه، وهذا هو في الأصل محور شخصيته ومدار إحساسه بالعظمة، وإشارته في عجز البيت المذكور آنفًا إلى أنه رَبُّ المعاني الدّقاق يؤكد تلك النزعة عنده. وفي شاهد آخر يقول[٧]:

إنَّ هذا الشِّعرَ في الشّعر مَلكْ سار فهو الشّمسُ والدُّنيا فلكْ
عَدلَ الرحمنُ فيه بيننا فقضى باللفظِ لي والحمد لك
فإذا مرَّ بأذنيْ حاسدٍ صار مِمّن كان حيًّا فهلَكْ

وهنا تتجلى شدة اعتزازه بشعره أيضًا، حيث يُصوِّر في البيت الأخير أنّ حساده من الشعراء، وحساد ممدوحه من الرؤساء يموتون من غيظهم حالما يسمعون هذا الشعر، لأنه حاز فيه فضل الاختراع والسبق في معانٍ لم يستطع

غيره من الشعراء تدبيجها في المديح.

وهذان الشاهدان وغيرهما من الشواهد الأخرى في هذا الباب تُفضي إلى حقيقة واحدة وهي أنّ إحساسه بالتفرد قد بلغ درجة جعلته يشعر بالعظمة، وليس عجيبًا أن يحاول خصومه من النقاد تجريده من هذه الصفة وذلك بإظهار تلك المعاني مسروقة أو مستوحاة من أشعار سابقيه ومعاصريه، وكان على رأس هؤلاء من معاصريه في القرن الرابع الهجري الصاحب بن عباد، والحاتمي، وابن وكيع، وأما العميدي فمن نقاد القرن الخامس الذين أعادوا النظر في المتنبي وشعره في ضوء قضية السرقات ليظهر للناس حقيقة أبي الطيب الذي كان الشغل الشاغل للأدباء ومحبي الشعر في ذلك العصر.

**(٢)**

**١– ٢: الصاحب بن عباد، ورسالته (الكشف عن مساوئ المتنبي)**

ألَّف الصاحب بن عباد رسالته الموسومة بـ «الكشف عن مساوئ المتنبي»، محاولاً حصر تلك المساوئ بسرقاته الشعرية، وهي رسالة موجزة، ذكر في فاتحتها أنه ينتوي ذكر بعض شعر أبي الطيب الساقط فقال: «والآن أعود إلى ذكر المتنبي فأُخرج بعض الأبيات التي يستوي الريض والمرتاض في المعرفة بسقوطها دون المواضع التي تَخفى على كثير من الناس لغموضها»(٨).

والواقع أنَّ الصاحب في هذا التقديم مع أنّ كلامه يشي بشيء من نقد المعاني، على اعتباره حدَّد وجهة الرسالة باستخلاص أبيات من شعر المتنبي قال بأنها ساقطة مرذولة، فإنه انعطف إلى موضوع السّرق محددًا جهة العيب فيه، مما يشير إلى أنه قصد بالمعاني الساقطة التي تتبعها عند المتنبي بالمسروقة فذكر: «فأما السرقة فما يُعاب بها لاتفاق شعر الجاهلية والإسلام عليها،

ولكن يُعاب إن كان يأخذ من الشعراء المحدثين كالبحتري وغيره جُلّ المعاني، ثم يقول لا أعرفهم ولم أسمع بهم، ثم يُنشد أشعارهم، فيقول هذا شعر عليه أثر التوليد، ولا عجب فهذا الصولي كان كثير الرواية حَسَنَ الأدب، إلا أنّه ساقطُ الشِّعر، يقول في كتاب الخلفاء وقد حشاه بشعره: إنّما أثبت شعري ليعلم الناس أنَّ في زمانهم مَن إنْ لم يسبق البحتري انتصف منه، وليس في الإعجاب بالنفس غاية، وكان بعض الناس يقول إنّي أجاري البحتري وأناويه وأناقضه وأساويه»[٩].

وظاهر كلام الصاحب هنا يشي بأن الشعراء أغاروا على شعر البحتري وهو من المحدثين، وهنا يكمن العيب في السّرق، أما إذا نظر المحدثون في أشعار من تقدمهم من شعراء الجاهلية والإسلام وأفادوا منها فإنّ ذلك ليس بعيب، لأنّ معانيهم أضحت بعامل التقادم والاحتذاء كثيرة الدوران على الألسنة، غير أنّ هذا الكلام غير لصيق بالمتنبي؛ لأنّ الصاحب في عموم رسالته لم يثبت أنّ المتنبي أخذ عن البحتري، وليس ذلك فحسب بل نراه يَقصر كلامه على عيوب المتنبي بانتقاد بعض معانيه، إذ افتتح نقده التطبيقي بقوله: «وأول حديث المتنبي أن لا دليل أدل على تفاوت الطبع من جمع الإحسان والإساءة في بيت كقوله[١٠]:

بَلِيتُ بلى الأطْلالِ إنْ لَمْ أقِفْ بهَا وُقُوفَ لئيمٍ ضاعَ في التُربِ خاتِمُهْ

ويأخذ الصاحب على المتنبي هنا أنه طبق المصراع الثاني للبيت، وهو عنده في نهاية الرداءة، على الصدر وهو في غاية الاستقامة والإحسان، وهذا ما عبّر عنه بقوله: «فهذا كلام مستقيم لو لم يعقبه بقوله: وقوف لئيم ضاع في الترب خاتمه، فإنّ الكلام إذا استشف جيده ووسطه ورديئه كان من أرذل

ما يقع لصبيان الشعراء وولدان الأدباء»[١١]، ووجه الإساءة في رأي الصاحب أنّ المتنبي جمع الرداءة إلى الإحسان في قوله «وقوف لئيم، فهذا لا يستقيم مع الوفاء الذي أظهره للأطلال، غير أنّ جهة الاعتراض في كلام الصاحب تنتفي مع اختلاف رواية البيت، ولعله من الطريف أنّ الحاتمي وهو من خصوم المتنبي كان قد سأله عن البيت فقال: «فأخبرني عن قولك:

بليت بلى الأطلال إن لم أقف بها وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه

كيف قلته أشحيح أم شجيج؟ فقال: أنا قلته بحاء لا غير، وهذا معنى اخترعته»[١٢].

إذن كلام الصاحب لا معنى له مع اختلاف الرواية، خصوصًا أنّ الحاتمي كما يذكر المؤرخون التقى المتنبي على نحو ما سنراه في كلامنا على رسالته الموضحة. هذا أمر وأمر آخر يمكن أن نشير إليه وهو أنّ الشعر الساقط عند الصاحب هو المسروق، وقد غفل عن تبيان وجه السرقة في البيت، وعلى ذلك لم يفِ بمنهجه في تتبع سرقات المتنبي، ليغدو انتقاده في آخر الأمر غير مسوَّغ، فهو من جهة يبنيه على رواية غير صحيحة، ومن جهة ثانية يُغفل جهة السرقة أو العيب فيه، وأما التفاوت بين الجيد والرديء فإنّ ذلك يشمل شعر المتنبي كما يشمل أشعار غيره، ومحال أن يجمع الشاعر في نتاجه الحسن دون الرديء، والمتنبي معروف عند النقاد بهذه الصفة حتى قيل: «وكان أبو الطيب شاعرًا مشهورًا مذكورًا محظوظًا من الملوك والكبراء، والجيد من شعره لا يُجارى فيه ولا يُلحق، والرديء منه في نهاية الرداءة والسقوط»[١٣]. وشاهد آخر يدل على أنَّ الصاحب لم يستطع ضبط السرقات عند المتنبي فانعطف إلى نقد معانيه، مع أنّ غاية رسالته تدور حول نفي المعاني المخترعة في شعره حيث يقول: «ولقد

مررت على مرثية له في أم سيف الدولة تدل على فساد الحس وعلى سوء أدب النفس، وما ظنك بمن يخاطب ملكًا في أمه ثم يقول (رواق العز فوقك مسبطر) ولعل لفظة الاسبطرار في مراثي النساء من الخذلان الصفيق... يظن المتعصبون له أنّها من شعره بمثابة ﴿وقِيلَ يا أَرضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾ [هود:٤٤] من القرآن، وفيها يقول:

وَهَذا أَوَّلُ النَّاعِينَ طُرَّاً لأوّلِ ميتةٍ في ذا الجَلالِ

ومن سمع الشعر عرف تردده في انتهاك الستر لما أبدع في هذه المرثية قال:

صلاةُ الله خالِقِنَا حَنُوطٌ على الوجْهِ المكفَّن بالجَمالِ

وقال بعض من يغلو فيه هذه استعارة، فقلت صدقت ولكنها استعارة حداد في عرس»[١٤].

ومن الواضح أنّ الصاحب في نقده هذا متحامل على المتنبي، إذ لم يُبصر في شعره سوى العيب والنقص، وهو لم يضف في هذا الباب شيئًا إلى ما قاله النقاد في هذه القصيدة التي تأملها الأدباء فأشاروا إلى عيوبها ومحاسنها، ولعل الثعالبي قد صح له النظر فيها فأشار إلى عيوبها دون أن يغفل عن محاسن أبي الطيب ومعانيه الفريدة التي انطوى عليها معظم شعره[١٥].

فالصاحب كان يطمع بمديح المتنبي، مثلما حظي عضد الدولة ووزيره ابن العميد بمديحه، غير أنّ المتنبي كما قال المتقدمون: «أبى الانحطاط إلى الكَتَبَةِ»[١٦]، إذ كان الصاحب كاتبًا يومذاك لابن العميد، يقول ياقوت: «إنّ الصاحب إسماعيل بن عباد قال بأصبهان، وهو يومئذ على الإنشاء، بلغني أنّ هذا الرجل، يعني المتنبي قد نزل بأرجان متوجهًا إلى ابن العميد، ولكن إنْ جاءني خرجت إليه من جميع ما أملكه، وكان جميع ما يملكه لا يبلغ ثلاثمئة

درهم... وبلغ ذلك المتنبي فلم يعرج عليه ولا التفت إليه، فحقد عليه الصاحب حتى حمله على إظهار عيوبه في كتاب ألَّفه لم يصنع فيه شيئًا؛ لأنه أخذ عليه مواضع تحمَّل فيها عليه»[١٧].

ولعله من الطريف أن يكون ابن عباد من أكثر أصحاب النثر سرقة لمعاني المتنبي فيما يندرج تحت إطار نثر المنظوم، وكان الثعالبي قد تتبع ما أخذه الصاحب بن عباد من شعر المتنبي ونثره في رسائله، وفي ختام ما عرضه الثعالبي مما أخذه الصاحب من المتنبي يقول: «هذا غيض من فيض ما اغترفه الصاحب من بحر المتنبي، وتمثَّل به من شعره، ولو ذكرت نظائره لامتد نَفَس هذا الباب»[١٨].

**٢–٢: الحاتمي ورسالته الموضحة في سرقات المتنبي**

أنشأ الحاتمي رسالته في سرقات المتنبي بعد عودته من مصر، إذ أشار في مقدمته إلى ذلك بقوله: «ولما ورد أحمد بن الحسين المتنبي مدينة السلام منصرفًا من مصر، ومتعرضًا للوزير أبي محمد المهلبي للتخيم عليه والمقام لديه: التحف رداء الكبر، وأذال ذيول التيه، وصعَّر للعراقيين خده، وأرهف للخصام حده...»[١٩]، ومن الملاحظ أنّ الحاتمي قد تصرَّف في خبر قدوم المتنبي إلى بغداد، إذ انفرد بالإشارة إلى تخييمه ومقامه لدى الوزير المهلبي، والواقعة كما ذكرها البديعي تختلف عما أوردها الحاتمي، إذ المتنبي لمّا عاد إلى بغداد نزل بدار علي بن حمزة البصري اللغوي، وقد زاره الوزير المهلبي فيها، وكان معه الأصفهاني صاحب الأغاني، وكان يتطلَّع إلى أن يمدحه غير أنه أبى[٢٠]، ويؤكِّد صاحب بغية الطلب ذلك بقوله: «لما ورد أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي بغدادَ متوجهًا إلى حضرة الملك عضد الدولة بفارس، أعدّ له أبو محمد (المهلبي)

عشرة آلاف درهم وثيابًا كثيرة وفرسًا بمركب ليعطيه ذلك عند مديحه له، فأخّر المتنبي من ذاك ما كان متوقعًا منه، وحضر مجلس أبي محمد للسلام عليه فغاظ أبا محمد فعله...»[٢١]، فعبارة «وحضر مجلس أبي محمد للسلام عليه» يعني أنه لم يكن يقيم عنده. وهذا ما يؤكّد تزيد الحاتمي فيما أورده في خبره المذكور آنفًا، إضافة إلى مخالفة ما أورده المنطق، فكيف ينحاز المتنبي إلى المهلبي، ويخييم عليه ويقيم لديه ثم يترفع عن مديحه؟

لقد أنشأ الحاتمي رسالته بعد أن قابل المتنبي، فجهة الخطاب في الرسالة تُشير إلى ذلك بوضوح، وقد ذكر ذلك غير واحد من الأدباء فقال القفطي: «وله (الحاتمي) اجتماع مع المتنبي لما قدم إلى بغداد، ومؤاخذات آخذه بها وصنَّف ذلك في كتاب...»[٢٢]، وقال الصفدي: «وله الرسالة الحاتمية التي شرح فيها مادار بينه وبين المتنبي لما قَدم بغداد»[٢٣].

حدَّد الحاتمي منهجه في رسالته الموضحة بقوله: «نهدت له متبعًا عَواره، ومقلمًا أظفاره، ومذيعًا أسراره، وناشرًا مطاويه، ومنتقدًا من نظمه ما تشمّخ به، ومنتحيًا أن تجمعنا دار يشار إلى ربها فأجري أنا وهو في مضمار يعرف السابق من المسبوق واللاحق من المقصر عن اللحوق»[٢٤].

وينبغي أن نلاحظ أن الحاتمي كان قد سعى إلى مقابلة المتنبي في دار ليُظهر عيوبه وسقطاته على مرأى الناس ومسمعهم، كما ذكر آنفًا «منتحيًا أن تجمعنا دار»، وبالفعل بُنيت الرسالة على أساس من المواجهة الصريحة بين الحاتمي والمتنبي، غير أنّ ما جاءت به الرسالة يبعث على الشك، إذ لا نتصور أنّ رجلاً قد امتلأ صدره حقدًا على المتنبي تُتاح له الظروف لمناظرته بصورة لم يقبلها المتنبي من الملوك والأمراء، ودليل ذلك ما أورده الثعالبي حول

ملاحظات سيف الدولة على بعض شعره[٢٥]، وكان المتنبي لا يرضى أن يسمع لومة لائم فيما يقول، كما كان يأنف أن يرد على السائلين، ولم يتسنَ لكثير من الأدباء مقابلته أو حتى سماع شعره منه، فقد حدَّث أبو مسلم الفَرضي قال: «لما ورد المتنبي بغداد سكن في ربض حُميد فمضيت إلى الموضع الذي نزل فيه لأسمع منه شيئًا من شعره فلم أصادفه، فجلست أنتظره وأبطأ علي فانصرفت من غير أن ألقاه»[٢٦]، وهنا يحسُن التساؤل كيف اتسع صدره للحاتمي إذن؟

وقف الحاتمي في رسالته عند مرثية أبي الطيب لأم سيف الدولة، فقال له: «فأخبرني عن قولك في مرثية أم سيف الدولة:

ولا مَنْ في جَنازتها تِجَارٌ يكونُ وداعُها نَفْضَ النِّعالِ

أهكذا يؤبّن مثلها، وقد كانت بلقيس عصرها... فقال: ألستُ القائل في هذه الكلمة:

مشى الأمراءُ حَوْلَيها حُفَاةً كأنَّ المرْوَ من زِفِّ الرِّئَالِ
وأبرَزَتِ الخُدورُ مخبآتٍ يضعن النِّقسَ أمكنة الغوالي
أتتهنَّ المصيبةُ غافلاتٍ فدمعُ الحُزن في دمعِ الدَّلال

فقلت: البيت الأول من قول الصنوبري:

نؤوم الضحى أهب القنافذ عنده إذا ما عراه النوم أهب الثعالب

أو من قول ابن الرومي:

لو أنّها استقلت على حسك الفنك تحت الزباة وجدتهُ كالفنك

وعلى ذلك فمن الواجب ألا تدفع عن إحسان انتظمه شعرك، ولا عن معنى نكد طوّح به في البلاد فكرك، ولكنك تحسن في البيت من القصيدة، ثم

تشفع ذلك بالأبيات السخيفة لفظًا ومعنى»[٢٧].

وما يلفت النظر هنا أنّ الحاتمي يخاطب المتنبي خطاب السيد للمسود، والقاضي للمتهم، ومن عجب أنّ المتنبي سرعان ما ينصاع لما يقول، ويسلّم بما يتهمه به، ففي صدر الشاهد يعنف الحاتمي أبا الطيب إلى درجة التوبيخ في قوله «أهكذا يؤبن مثلها»، ولم يملك المتنبي ردًا سوى أنه يذكر أبياتًا من القصيدة كأنّما يريد أن تشفع له عند الحاتمي، الذي لا يلبث أن يوجّه له صفعة أقوى من السابقة حين بيّن أن ما يدعيه من معنى مخترع هو مسروق من قول الصنوبري أو ابن الرومي. وفي نهاية هذه المقابلة يوجه الحاتمي للمتنبي ملاحظات هي أشبه بملاحظات الأستاذ إلى تلميذ مقصّر من تلامذته، مشيرًا إلى ضرورة تخليه عن اغتراره بشعره، إذ ليس له بميزان نقد الحاتمي سوى البيت الجيد الذي يُساق ضمن جملة من الأبيات الرديئة السخيفة.

وبغض النظر عما لاحظه الحاتمي من وجوه الشبه بين شعر المتنبي المذكور آنفًا وشعر كل من الصنوبري وابن الرومي، إذ القضية بمجملها تحتمل الجدل خصوصًا إذا عولجت من منظور ما هو معدود في السّرق، فإنّ المحاورة التي عقدها بينه وبين المتنبي تكاد تكون ضربًا من الخيال، لأنّ صوته كان مهيمنًا ورأيه كان نافذًا، وكلمته لا ترد، و المتنبي قد ظهر من خلال ذلك عاجزًا عن الرد، وهذا في واقع الأمر بعيد عن حقيقة أبي الطيب.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الحاتمي نحا نحو الصاحب بن عباد في الانعطاف بقضية السرقات الشعرية إلى موضوع آخر هو أدخل في نقد المعاني، يقول مخاطبًا المتنبي: «ومما ذهبت إليه هذا المذهب:

مَا أبْعَدَ العيبَ والنُّقصانَ من شيمي  أنا الثُّريا وذانِ الشَّيبُ والهَرَمُ

وهذا كلام جار على غير مناسبة؛ لأنّ الثريا ليست من قبس الشيب والهرم، ولا هما من قبسها، وكان وجه الكلام أن تقول: أنا الثريا سفورًا وعلوًا، وذان السهى خفاءً وخبوًا، أو أن تقول: أنا الشباب وذان الشيب والهرم. ومن غث الكلام ومستكرهه قولك:

فتىً ألفُ جُزْءٍ رأيُهُ في زمانِهِ أقلُّ جُزَيءٍ بعضُهُ الرَّأيُ أجمَعُ[٢٨]

مما يدل على خلل واضح في منهج هذين الرجلين، فموضوع السرقات أمر، وموضوع فساد المعاني وابتذالها أمر آخر، وتفسير ذلك أن المسألة لا تعدو كونها تتبعًا لسقطات المتنبي ليس غير.

لقد بدا الحاتمي من خلال هذه الرسالة ناقمًا على المتنبي، مدفوعًا للنيل منه، وقد عبّر عن ذلك صراحة في مقدمة كتابة خصوصًا في قوله: «نهدت له متبعًا عَواره»، إذ إنه استجاب لدعوة المهلبي الذي حرّض الأدباء على تتبُّع سقطات المتنبي. يقول صاحب بغية الطلب: «ومشاركة الحاتمي في إدامة حل نظمه في رسائله، بعد مقالته التي عملها فيه محرضًا عليه ومتنادرًا به كنوادر المخنثين، كما حمل مثله أبا محمد المهلبي مستوزر بختيار بن معز الدولة على إغراء سفهاء بغداد عليه ومعاملته بالسخف الذي أعرض بوجهه عنه وعنهم»[٢٩].

### ٣– ٢: ابن وكيع وكتابه (المنصف)

قد يكون «المنصف» لابن وكيع من أوسع المصنفات التي تعرَّضت لسرقات أبي الطيب، ويذكر محقق الكتاب محمد يوسف نجم أنّ ابن وكيع قد عوّل فيه على رسالة ألَّفها النامي في عيوب شعر المتنبي، «وقد انفرد بالاطلاع عليها، وقبس منها ليهاجم صاحبها، ويهجن رأيه مدعيًا لنفسه صفة الإنصاف»[٣٠].

وابن وكيع يضع بين يدي مصنفه مقدمة طويلة، يوجه فيها الخطاب إلى

الوزير ابن حنزابة الذي بعث إليه رسالة يشير فيها إلى ما كان يحظى به شعر المتنبي عند متأدبي عصره من تقدير يقول: «فإنّه وصل إليَّ كتابك الجليل الموضع، اللطيف الموقع، تذكر فيه إفراط طائفة من متأدبي عصرنا في مدح أبي الطيب المتنبي وتقديمه، وتناهيهم في تعظيمه وتفخيمه...»[٣١]، ويظهر من خلال المقدمة أن ابن حنزابة كان متحاملاً على المتنبي حاقدًا على المتعصبين له، لذلك كانت رسالته تنطوي على ذمهم والتهوين من شأنهم لأنهم كما تقول المقدمة كانوا مأخوذين بالتقليد الأعمى «إنّهم قد أفنوا فيه الأوصاف، وتجاوزوا الإسراف، حتى فضَّلوه على من تقدم عصرَهُ عصرُهُ، وأبرّ على قدرِهِ قدرُهُ، وذكرتَ أنّ القوم شغلهم التقليد فيه، عن تأمل معانيه...»[٣٢]، وهذا الكتاب فيما يبدو قد حفز ابن وكيع إلى أن يضع شعر المتنبي في موضعه الحقيقي متحريًا في ذلك الإنصاف، ومن الواضح أن ابن وكيع حين اختار لمصنفه اسم «المنصف» لم يقصد إنصاف المتنبي، لأنّ المتنبي كما تشير مقدمة الكتاب قد نال من التقديم والتقدير والمدح ما لا يستحق، فعندما فاق ذكره المتقدمين أمثال الوليد وحبيب، حتى لكأنّه سلبهم حقهم في الثناء والشهرة، وجب أن يقتص منه ليعيد الأمور إلى نصابها، أو كما يشي عنوان كتابه محاولاً تحقيق الإنصاف بين الشعراء يقول: «لا يستحق التقديم على من هو أقدم منه عصرًا، وأحسن منه شعرًا كأبي تمام والبحتري، فإني لا أزال أرى من منتحلي الأدب مَنْ يعارض شعريهما بشعره، ويزن قدريهما بقدره..»[٣٣].

ثم يرسم منهج كتابه قائلاً: «ثم لا يرضى مقرّظ أبي الطيب حتى يدّعي له السلامة الكاملة فيه، وأبىّ له السلامة من ذلك، وقد جاء على ساقة أهل الشعر بعد استيلاء الناس على حلو الكلام ومره ونفعه وضره، وهذا الظلم

الواضح والإفك الفاضح، وسأدلُّ أولاً على استعمال القدماء والمحدثين أخذ المعاني والألفاظ، ثم أعود إلى تنخل شعر أبي الطيب ومعانيه وإثبات ما أجده فيه من مسروقات قوافيه»[٣٤].

إنّ ابن وكيع، مع أنّه قد حدَّد وجهته في كتابه بتنخل شعر المتنبي لتتبع سرقاته، إلا أنه لم يلتزم هو الآخر بهذا المنهج، إذ انحرف في مواضع شتى إلى نقد معانيه وألفاظه، وهذا باب خارج من الناحية الموضوعية عن تتبُّع السرقات، إذ نراه يقف في صدر مؤلفه عند شعر قاله أبو الطيب في مفتتح حياته حيث يقول:

بأبي مَنْ ودْتُه فافترقنا وقضى اللهُ بعدَ ذاكَ اجتماعا
وافترقنا حولاً فلمّا التقينا كان تسليمُهُ عليَّ وَدَاعَا

ومن الغريب أنّ ابن وكيع بعد إدامته النظر في هذين البيتين يسمِّي البيت الأول فارغًا بمعنى أنّه لم يلتمس فيه كما قال استخراج معنى، أي إنه ليس بشيء، في حين يرى في الثاني كبير طائل، ويصفه بأنّه بيت المعنى، أي أنّه وجد فيه مبتغاه، فرأى أنّه مأخوذٌ من قول جحظة[٣٥].

وإذا سلَّمنا أنّ معنى المتنبي مأخوذ من شاعر آخر، فإنّ الإنصاف يقتضي الإشارة إلى أنّ المتنبي قد زاد في معنى سابقه، غير أنّ ابن وكيع فيما يبدو أراد أن يجرِّد المتنبي من كل إحسان، فعدّ بيته الأول فارغًا، والآخر مسروقًا.

والأبيات الفارغة التي أحصاها ابن وكيع في شعر المتنبي كثيرة، منها قوله:

أفْرَسُهَا فَارسًا وأطولُهَا باعًا ومغوارُها وسيِّدُها

فقال ابن وكيع: «قال بعض النحويين: فارسًا منصوب على الحال لا على التمييز، وهو بيت فارغ[٣٦].

ومن الغريب أنّ ابن وكيع يأخذ على المتنبي إيراده المعاني المألوفة تارة، والغريبة تارة أخرى، فمثلاً يعيب عليه قوله:

قِفَا قليلاً بها عليَّ فلا أقلّ من نظرة أزَوِّدُهَا

فيقول: هذا معنى غير غريب، ولكن أبا الطيب لا يحقر شيئًا بل يأخذ الشعر الرفيع والوضيع، وهو في الأخذ كما قال ابن المعتز:

قلبي وثاب إلى ذا وذا ليس يرى شيئًا فيأباه

ثم يتابع قائلاً: فيجب عليه الاهتمام بما اهتم به هذا البيت من قول ذي الرمة:

فإن لم يكن إلا تعلل ساعة قليل فإني نافع لي قليلها

وكلام ابن وكيع هنا داخل في نقد المعاني، والموازنة بين أقوال الشعراء، ومن أمثلة مآخذه على المعاني الغريبة في شعر أبي الطيب تعرضه لقوله:

يا ليتَ بي ضربة أتيحَ لها كما أتيحتْ له محمَّدُها
أثرَ فيها وفي الحديد وما أثرَ في وجهه مُهَنَّدُها
فاغتبطتْ إذْ رأتْ تزيُّنها بمثلِهِ والجراحُ تحسدُها

يقول ابن وكيع: «هذا كلام عجيب ومعنى غريب، وذلك أنه تمنى ضربة تقع من مثل ضربة الممدوح ولا أعلم هذا مما يتمنى»[٣٧]. ثم عمد ابن وكيع إلى تصحيح بعض معاني المتنبي كقوله:

كُفِّي أراني ويْكِ لومَكِ ألوَمَا همّ أقام على فؤادٍ أنْجَمَا

فقال: ترتيب هذا البيت: كفى فقد أراني لومك أولى باللوم همٌّ أقام على فؤادي أنجما. وهذا صعود وحدور، محصوله محقور، والمعروف أن يقال: اللائم ألوم، فأما اللوم فلا يلام لأنه غير الملوم، والملوم العاقل، واللوم كلام، فالواجب أن يلام العاقل دون الكلام[٣٨]. وكذلك وقف عند العيوب التي

تلحق باللفظ في قول أبي الطيب:

وإذا سحابة صدِّ حُبِّ أبرقتْ تركتْ حلاوةَ كُلِّ حُبٍّ علقما

يقول: «ليس هذا البيت من ألفاظ حذاق الشعر، لأنّ ذكر السحابة والإبراق لا يليق بذكر الحلاوة والمرارة...»[٣٩]. ثم وقف في شعر المتنبي عند المعاني المستحيلة كقوله:

وضاقت الأرضُ حتى كانَ هاربُهم إذا رأى غيرَ شيءٍ ظنَّهُ رَجُلا

فقال: هذه مبالغة مستحيلة لأن غير شيء لا تقع عليه رؤية»[٤٠]، ووقف عند المعاني الدالة على قلة الورع في قوله:

يا أيُّها الملكُ المصَفّى جَوْهَرًا من ذاتِ ذي الملكُوتِ أسمى مَنْ سَمَا

نورٌ تَظَاهَرَ فيكَ لاهُوتيَّة فتكادُ تعلمُ علمَ ما لَنْ يُعْلَمَا

فقال: «هذا مدح متجاوز وفيه قلة ورع»[٤١]. كما وقف عند اللحن في شعره كقوله:

كيفَ أكَافي على أجلّ يَدٍ مَنْ لا يرى أنّها يدٌ قبلي

فقال: «لم يهمز أكافي، على غير قياس، وما أكثر ما يسقط الهمز»[٤٢].

ومن ذلك أيضًا وقوفه عند قول أبي الطيب:

فأرحام شعر يتصلن لدنّهُ وأرحام مال ما تني تتقطعُ

فقال: «هذا من لحونه إنّما تشدد النون مع النون...»[٤٣].

ومن الواضح أنّ هذه الشواهد وغيرها كثير مما دوَّنه ابن وكيع تحت باب سرقات المتنبي، لا تدخل في باب السّرق، وإنما تدخل في نقد المعاني، وعليه يفقد هذا الكتاب أيضًا مصداقيته، على اعتباره لم يف بمنهجه، ليتحول جزءٌ كبيرٌ منه إلى صورة من صور التحامل ليس أكثر، فابن وكيع كما يرجح محمد

يوسف نجم لم يؤلِّف كتابه المنصف إلا بتحريض من الوزير ابن حنزابة[٤٤]، وابن حنزابة من الرؤساء المتأدبين، كان له مجلسٌ يضم أبرز أعلام عصره من النابهين والشعراء والأدباء، كما كانت لديه مكتبة انطوت على نفائس الكتب، وهو بعد ذلك ممن كان يتطلع إلى أن يمدحه المتنبي بقصيدة، ولكنه لم يظفر بطلبته، فطفق يتتبع سقطات المتنبي ويحشد العلماء للكشف عن عيوبه وسرقاته، من أجل ذلك لم يكن كتابه «المنصف» خالصًا لوجه العلم، وإنما كان تزلفًا من ابن حنزابة وتقربًا له.

لم يلق كتاب ابن وكيع تأييدًا عند الأدباء، فانبرى غير واحد لدحضه وبيان ما انطوى عليه من جور وعسف، فقيل إنّ ابن جني ألّف كتابًا في الرد عليه ونقض ما جاء فيه سماه «النقض على ابن وكيع في شعر المتنبي وتخطئته»[٤٥]. كما أشار ابن القارح إلى أن ابن وكيع أجحف بحق المتنبي في كتابه[٤٦]، وذكر ابن شرف القيرواني أن كتاب المنصف لابن وكيع: «أجور من سدوم»[٤٧].

**٤– ٢ العميدي وكتابه (الإبانة عن سرقات المتنبي)**

لم يكن العميدي ممن عاصر أبي الطيب فقد ظهر بعده، فكانت وفاته نحو سنة ٤٣٣هـ، أي بعد وفاة المتنبي بنحو ثمانين عامًا، ومع ذلك بقي لشعره فيما يشير العميدي في كتابه صدى يدع الناس على خُلْفٍ واضح إزاءه، فقد استاء العميدي من صيته، وضاق ذرعًا بمن كان يُعلي من شأنه، فجرد قلمه لإظهار سرقاته فقال في مقدمة كتابه: «وليس تغني المتنبي جلالة نسبه مع ضعف أدبه، ولا يضره خلاف دهره مع اشتهار ذكره، ولقد تأملت أشعاره كلها فوجدت الأبيات التي يفتخر بها أصحابه من أشعار المتقدمين منسوخة،

ومعانيها من معانيهم المخترعة مسلوخة، وإني لأعجب والله كيف يُعلون من ذكر المتنبي وأمره، ويدعون الإعجاز في شعره، ويزعمون أن الأبيات المعروفة له هو مبتدعها ومخترعها ومحدثها ومفترعها، ولم يسبق إلى معناها شاعر، ولم ينطق بأمثالها باد ولا حاضر، وهؤلاء المتعصبون له والمفتخرون باللُّمع التي يزعمون أنه استنبطها وأثارها، والمعتدون بالفِقَرِ التي يدّعون أنّه افتضَّ أبكارها، والمترنمون بأبيات سائرة يذكرون أنه انفرد بألفاظها ومعانيها، وأغرب في أمثلتها ومبانيها... يحكمون حكمًا جزمًا بأنّها غير مأخوذة ولا مسروقة»[٤٨].

فكتاب العميدي إذن يقدِّم صورة من صور النزاع والخلاف حول شعر المتنبي بين من كان يؤيد مذهبه الشعري ومعارضي ذلك المذهب، ومن هنا اختلفت دوافع تأليف هذا الكتاب عن الأسباب التي دفعت مؤلفي الكتب السابقة في سرقات المتنبي إلى تأليفها، فالعميدي على اعتباره قد ظهر بعد أبي الطيب كان من المتوقع أن يكون أكثر اعتدالاً من سابقيه، فهو ليس من منافسيه أو حساده أو الحاقدين عليه، أو ممن دُفِعَ لتتبع سرقاته لغاية من الغايات، غير أنّ العجيب في الأمر أنّه كان أكثر عَداء وكرهًا للمتنبي من السابقين، من أجل ذلك رأى الأدباء أنّه أجحف بحقه دونما سبب، فذكر البديعي أنّ العميدي في كتابه «الإبانة» كان في غاية الانحراف عن الحق، حائدًا في التمييز عن سنن الإنصاف» ثم يقول: «ونحن نُورد كلامه، ونردُّ في نحره سهامه، فإنه تجاوز الحد وأكثر الرد[٤٩].

فالعميدي في تتبعه سرقات المتنبي لم يختلف عن سابقيه في عدم الوفاء بالمنهج الذي يستوجب تبيان السرقات في شعر المتنبي، ولعل عنوان مؤلفه «الإبانة عن سرقات أبي الطيب» يحتِّم عليه التقيد بموضوع السّرق، غير أنّه

انحرف عنه بغية إحصاء سقطات أبي الطيب وذكر عيوبه في اللغة والنحو والمعاني، فمن مآخذه على شعر أبي الطيب قوله:

حشايَ على جمرٍ ذكيٍّ من الهوى وعينايَ في روضٍ من الحُسْنِ ترتعُ

فقال العميدي: «لو قال ترتعان كان أصوب وأبلغ»(٥٠)، في حين ذكر العكبري أنه جائز على اعتبار أن العينين عضوان مشتركان في فعل واحد مع اتفاقهما في التسمية يجري عليهما ما يجري على أحدهما.

ومن أمثلة موازنته بين معاني المتنبي ومعاني غيره من الشعراء بغية إظهار تقصيره وقوفه عند قوله:

جاز الأولى ملكت كفاك قدرهم فعرفوا بك أن الكلب فوقهم

فإنه حجة يؤذي القلوب بها من دينه الدهر والتعطيل والقدم

فقال: «هذا البيت عليه أثر العي؛ لأنّ الدهر والتعطيل والقدم إلحاد وأحسن من ذلك قول ابن الرومي:

لا قدست نعمى تسربلها كم حجة فيها لزنديق

صبرًا أبا الصقر فكم طائر خر صريعًا بعد تحليق(٥١)

فهذا الشاهد داخل في باب المفاضلة بين المعاني، ولا علاقة له بالسّرق، وهو دليل على أنّ العميدي كان يتتبع سقطات أبي الطيب ليس أكثر، إضافة لذلك فإنّ قارئ كتاب العميدي يجد أنّ المؤلِّف أسرف في اتهام المتنبي بالإغارة على شعر معاصريه من المغمورين، فعدد منهم خلقًا كثيرًا، يقول محقق كتاب «الإبانة» في مقدمته: «ونجد في هذا الكتاب أسماء شعراء مغمورين حاولت جاهدًا أن أعثر على تعريف لهم في كتب التراجم فلم أجد لأحد منهم ترجمة ما خلا عددًا قليلاً منهم»(٥٢). ثم يقول: «وأعتقد أنّ المتنبي في كبريائه وتعاليه

ومنزلته في الشعر واللغة أكبر من أن يسرق من هؤلاء الشعراء الصغار أمثال الخناني والمياسي والعابدي وأبي السمراء والغساني... ولو فعل ذلك لافتضح بين الناس، وكانت هذه السرقات التي يزعمها المؤلف حجة لأعداء المتنبي المعاصرين له، الذين كانوا يقفون له بالمرصاد... إذن معظم سرقاته التي نُسبت إليه مردها إلى واحد من اثنين: إما أن تكون نوعًا من توارد الخواطر، أو أن تكون معاني مشتركة بين الشعراء»(٥٣).

ومؤدَّى تلك الملاحظات التي دوَّنها المحقق يفضي إلى أن العميدي في كتابه لم يكن بمنجاة عن الادعاء والجور والتجني، وفي الوقت ذاته لم يستطع شأنه في ذلك شأن سابقيه تحويل النقد التطبيقي القائم على تتبع السرقات إلى أداة نقدية تسعف على تطوير البحث النقدي. لهذا السبب لا تعدو تلك المؤلفات كونها ضربًا من إذكاء نار الخصومة وتتبُّع العيوب لأسباب شخصية. وبالمقابل ظهرت مؤلفات أخرى تعرَّضت للمتنبي كانت أكثر إنصافًا، ذلك لأنّها وضعت عيوب المتنبي بإزاء محاسنه ككتاب البديعي «الصبح المنبي» وكتاب الثعالبي «المتنبي ما له وما عليه»، إذ حَاولت هذه الكتب وأشباهها تقديم صورة للمتنبي ولشعره موسومة بشيء من الموضوعية والحياد، وكتاب الثعالبي على وجه الخصوص يكاد يكون من أبرز الكتب التي قدَّمت منهجًا علميًا في دراسة المتنبي وشعره، ذلك لأنّ المؤلِّف قد وقف عند قضايا تعدُّ جوهرية في أسلوبه وطريقته في النظم، إضافة لتتبُّع سرقاته من معاصريه، والإشارة في الوقت نفسه إلى ما أخذه غيره منه، كالذي أخذه كلّ من أبي الفرج الببغاء والسري الرفاء وأبي بكر الخوارزمي وأبي الفتح البستي وغيرهم من المتنبي. ثم تعرَّض الثعالبي إلى قضايا البناء الشعري عند أبي الطيب فعرض

فواتح شعره ومطالعها وما يستكره منها، مُشيرًا إلى أنّ هذه المسألة ليست مقصورة عليه، فقد عِيب على المتقدمين فواتح بعض أشعارهم، ووقف أيضًا عند المعاني القبيحة والمكروهة والمفرطة والمغلوطة والمكررة، وما تنمُّ عليه من فساد الحس وضعف العقيدة، وتعرَّض للألفاظ التي استعارها المتنبي من المتصوفة والحكماء، وبالمقابل أشار إلى محاسنه المتمثلة بحسن التصرف بالغزل، وحُسن التشبيه والتمثيل والمدح الموجه، وحسن التصرف في مديح سيف الدولة، واستعمال ألفاظ الغزل في أوصاف الحرب، وحسن التقسيم، وإرسال الأمثال، وابتكار المعاني. ولعل أهم ما انطوى عليه كتاب الثعالبي وقوفه عند بعض قضايا الأسلوب وتعليلها في شعر المتنبي مثل استكثاره من قول (ذا) في شعره، إذ عرضَ قولاً للجرجاني ينتقد فيه إكثار المتنبي من استعمال (ذا) في مطاوي أشعاره حيث يورد: وهي ضعيفة في صنعة الشعر دالَّة على التكلُّف، وربما وافقت موضعًا يليق به فاكتسبت قبولاً»(٥٤). والواقع أنّ المباحث الأسلوبية في الزمن الحديث تهتمُّ بهذا اللون من التكرار اهتمامًا بالغًا لأنّه يدلُّ على سمات خاصة بالأسلوب. ومن محاسن منهج الثعالبي في كتابه عن المتنبي أنه عمد إلى تأول بعض شعره كالقصيدة التي قالها في مدح عضد الدولة، إذ أشار الثعالبي إلى أن القصيدة انطوت على إشارات تدل على أن المنية تراءت للمتنبي قبل مقتله خصوصًا في قوله:

فلو أني استطعت حفظت طرفي فلم أبصر به حتى أراكا

**٥ — ٢: وخلاصة القول**

كان المتنبي في شخصيته وشعره يمثِّل حالة فريدة في تاريخ العربية، فالمتأمل تفاصيل حياته يجد أن الرجل كان صاحب موقف، لهذا ضنَّ بفنه إلا على من

يستحقه من أعلام عصره الذين رأى فيهم الرجولة والبطولة والإباء. وعلى كثرة من وقع في دربه من السادة الذين لم ير فيهم قرناء لذاته ومرمى لإبداعه، فإنه تعالى عليهم، مع ما كانوا يرصدون له من أموال ومتاع لاسترضائه؛ غير أنه لم يكن طامعًا بالعطاء، بمقدار ما كان يطمع بالشرف والمجد والزعامة والعزة، وقد نال من كل ذلك ما يحمل النفس على قدر كاف من القناعة والقبول والرضا، غير أن نفسًا لا تعرف القناعة والرضا قد سكنت لحمه ودمه، فقطع الحياة شامخًا متعاليًا، لا تشده قوة إلى القبول بما كان قد قسمه له المليك، فظل يساوره طموح الرئاسة والزعامة، فلا يرى فيمن تولاها خيرًا لها من ذاته، لكنه لم يبلغها بعد أن أسرف في طلبها، وكان ذلك الطموح يعود عليه بكثير من الشرور، فاستعداه من استعداه، وأحبه من أحبه، وقد ربحت العربية من تلك الحياة الغامرة والنفس الأبية والطموح الذي لا يُحد فنًا لا تفنيه الأيام، فها هو ذا شعره يزداد شبابًا مع تقادم الأزمنة، وها هي ذي شخصيته تزداد بريقًا كلما تداعت الأيام، ولعل أهم ما نجم عن المتنبي وشعره تلك المعركة النقدية التي دارت حوله، وأوضحها الكتب التي تتبعت سرقاته، غير أن تلك الكتب كما لاحظنا لم تتحلَ ولو بقدر ضئيل من الموضوعية، وإنما نشأت عن أسباب شخصية، فكانت ترصد صراعات دارت بين المتنبي وخصومه، ولعل الطريف في الأمر أن مشجعي التأليف في هذا الباب كانوا من الوزراء كالمهلبي وابن حنزابة والصاحب بن عباد، وكانت دوافعهم إلى تأليب النقاد لتتبع سرقات المتنبي واحدة، إذ كانوا جميعًا يطمعون في مديح أبي الطيب، لكنهم لم يظفروا بشيء من أشعاره، فاستعدوه وحرضوا الأدباء على النيل منه، ولكن المؤلفات التي أُنجزت في سرقاته سرعان ما انكشف عوارها، وتبين الناس دوافعها، فكانت من العوامل التي ضاعفت من شهرة المتنبي، ولهذا نقول إن البحث النقدي لم يستفد كثيرًا من تلك

المؤلفات، فبقيت صورة من صور الخصومة والنزاع الشخصي.

## حواشي البحث

١- الجرجاني (الوساطة) ص: ١٨٣.
٢- ابن رشيق (العمدة) ص: ٢/ ١٠٣٩.
٣- المصدر نفسه ص: ٢/ ١٠٣٨.
٤- المصدر نفسه.
٥- المصدر نفسه.
٦- المتنبي (ديوانه بشرح العكبري) ٣/ ٥٤.
٧- المصدر نفسه.
٨- ابن عباد، الصاحب (الكشف عن مساوئ المتنبي) ص: ١١.
٩- المصدر نفسه.
١٠- المصدر نفسه.
١١- المصدر نفسه.
١٢- الحاتمي (الرسالة الموضحة) ص: ٤٩.
١٣- ابن العديم (بغية الطلب) ص: ٢٦.
١٤- ابن عباد، الصاحب (الكشف عن مساوئ المتنبي) ص: ١٢.
١٥- الثعالبي (المتنبي ما له وما عليه) ص: ٤٣.
١٦- البديعي (الصبح المنبي) ص: ١٨١.
١٧- الثعالبي (المتنبي ما له وما عليه) ص: ٤٢.
١٨- المصدر نفسه.
١٩- الحاتمي (الرسالة الموضحة) ص: ٦.
٢٠- البديعي (الصبح المنبي) ص: ٥٩.
٢١- ابن العديم (بغية الطلب) ص ٢٨٨.

٢٢- القفطي (إنباه الرواة) ٣/ ١٠٣.

٢٣- الصفدي (الوافي بالوفيات) ٢/ ٣٤٢.

٢٤- الحاتمي (الرسالة الموضحة) ص: ٢١.

٢٥- الثعالبي (المتنبي ما له وما عليه) ص: ١٥٢.

٢٦- ابن العديم (بغية الطلب) ص: ٥٢.

٢٧- الحاتمي (الرسالة الموضحة) ص: ٢١.

٢٨- المصدر السابق.

٢٩- ابن العديم (بغية الطلب) ص ٥٤.

٣٠- ابن وكيع (المنصف – مقدمة المحقق) ص: ٢٢.

٣١- المصدر نفسه ص: ٦.

٣٢- المصدر نفسه.

٣٣- المصدر نفسه.

٣٤- المصدر نفسه.

٣٥- المصدر نفسه.

٣٦- المصدر نفسه.

٣٧- المصدر نفسه.

٣٨- المصدر نفسه.

٣٩- المصدر نفسه.

٤٠- المصدر نفسه.

٤١- المصدر نفسه.

٤٢- المصدر نفسه.

٤٣- المصدر نفسه.

٤٤- المصدر نفسه.

٤٥- ياقوت (إرشاد الأريب) ص: ١٢/ ١٤٣.

٤٦- الصفدي (الوافي بالوفيات) ص: ٢/ ١١٤.

٤٧- ياقوت (إرشاد الأريب) ص: ١٩/ ٣٧.

٤٨- العميدي (الإبانة عن سرقات المتنبي) ص: ٢٢.

٤٩- البديعي (الصبح المنبي) ص: ٤١.

٥٠- العميدي (مقدمة محقق الإبانة) ص: ٢٣.

٥١- المصدر نفسه.

٥٢- المصدر نفسه.

٥٣- المصدر نفسه.

٥٤- الجرجاني (الوساطة) ص: ١٨٥.

## مصادر البحث ومراجعه


**١- البديعي**، يوسف (الصبح المنبي عن حيثية المتنبي) تحقيق: مصطفى السقا ومحمد شتا طبعة دار المعارف بمصر ١٩٦٦م.

٢- **الثعالبي** (أبو الطيب المتنبي ما له وما عليه) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد طبع مكتبة الحسين التجارية بالقاهرة ١٩٣٦م.

٣- **الجرجاني** (الوساطة بين المتنبي وخصومه) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي منشورات المكتبة العصرية – صيدا/ بيروت ١٩٦٦م.

٤- **الحاتمي** (الرسالة الموضحة في ذكر سرقات المتنبي وساقط شعره) تحقيق: محمد يوسف نجم طبع دار صادر بيروت ١٩٦٥م.

٥- **الحناوي**، المحمدي عبد العزيز (دراسة حول السرقات الأدبية ومآخذ المتنبي في القرن الرابع الهجري) القاهرة ١٩٨٤م.

٦- ابن **رشيق** القيرواني (العمدة في محاسن الشعر وآدابه) تحقيق: محمد قرقزان طبعة أولى دار المعرفة بيروت ١٩٨٨م.

٧- **شعيب**، عبد الرحمن (المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث) طبع دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٤م.

٨- **الصفدي** (الوافي بالوفيات) تحقيق: هلموت ريتر وس (سلسلة النشرات الإسلامية لجمعية المشتشرقين الألمان) طبع سنة ١٩٥٩م.

٩- ابن **عباد**، إسماعيل المعروف بالصاحب (الكشف عن مساوئ شعر المتنبي) نشر مكتبة القدسي بالقاهرة ١٩٣٠م.

١٠- ابن **العديم** (بغية الطلب من تاريخ حلب) صورة عن نسخة محفوظة بمكتبة الجامعة الأمريكية ببيروت.

١١- **العميدي** (الإبانة عن سرقات المتنبي) تحقيق: إبراهيم الدسوقي طبع دار المعارف بمصر ١٩٦١م.

١٢- **القفطي** (إنباه الرواة على أنباه النحاة) تحقيق أبو الفضل إبراهيم دار الكتب المصرية ١٩٥٠.

١٣- ابن **وكيع** (المنصف للسارق والمسروق منه في إظهار سرقات أبي الطيب المتنبي) تحقيق محمد يوسف نجم طبعة أولى ١٩٨٤م.

١٤- **ياقوت** الحموي (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) تحقيق مرجليوث طبع بالقاهرة ١٩٢٧م.